دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	جامع الشرفاء بمراكش
المصدر:	مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية
الناشر:	جامعة القاضي عياض - كلية الآداب والعلوم الإنسانية
المؤلف الرئيسي:	متفكر، أحمد
المجلد/العدد:	ع 8
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1992
الصفحات:	229 - 253
رقم MD:	580301
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	العمارة الإسلامية، مراكش، المغرب، جامع الشرفاء، التصميم المعلماري، التصميم الداخلي، التصميم الخارجي، المكتبات
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/580301

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

جامع الشرفاء بمراكش

الأستاذ أحمد متفكر
كلية الآداب
مراكش

تمهيد

لقد عمل المغاربة - منذ دخل الاسلام ديارهم - على تشييد المساجد والعناية بها، إيمانا منهم بأن المسجد مركز ترابط الجماعة الاسلامية يتلاقون فيه للصلاة، وتبادل الرأي، والوقوف على أخبار الجماعة، فهو منتدى اجتماعاتهم الدينية، والسياسية، والاجتماعية، ومعهدا للتعلم وملجأ للغرباء الذين نزلت بهم محنة.

الجامع والمسجد

لقد أصبحت الكلمتان (الجامع والمسجد مترادفتين وهما تؤديان في أذهان الناس من أبناء زماننا مفهوما واحدا. مع أن اولهما يقصد بها إطلاق القول على عمومه، والثانية يراد بها تخصيصه ذلك ان كل جامع هو في نفس الوقت مسجد، وليس كل مسجد جامعا، والفارق بينهما، ان الجامع هو المسجد الذي تؤدي فيه الصلاة الجامعة، بينما المسجد هو المكان الذي يؤدي فيه المسلمون صلاتهم اليومية [1] .

---

[1] المسجد في الإسلام 145.

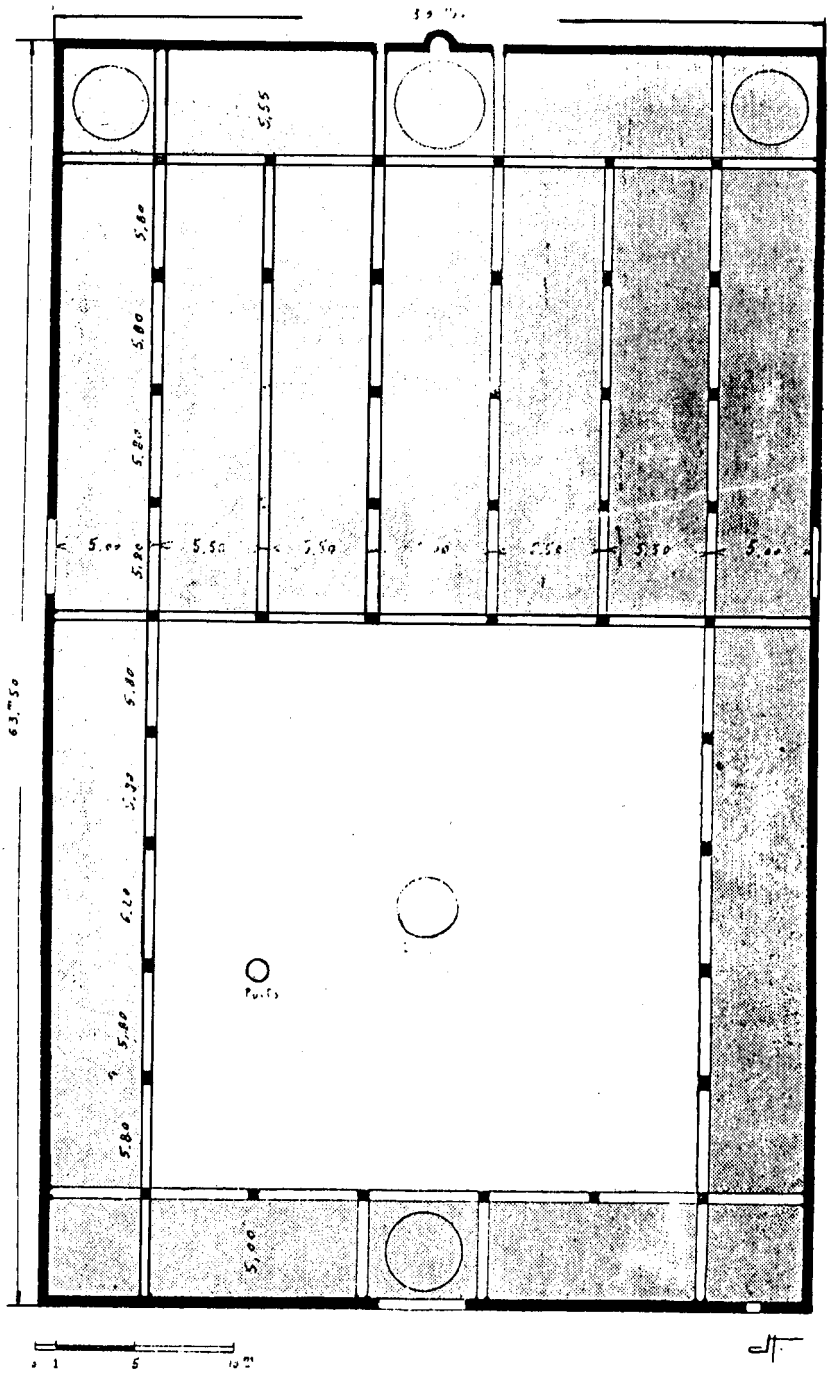

Fig. 163. — Marrakech. Plan schématique de la mosquée Mouassin.

وفي كتاب القاموس الاسلامي لمؤلفه أحمد عطية الله تحت كلمة (الجامع) : ان الجامع وصف شائع للمسجد، وأصبح علما عليه، يقال في الأصل مسجد جامع بمعنى مسجد لصلاة الجماعة، أو مسجد تقام فيه صلاة الجمعة، كما يطلق لفظ (الجامع) على المساجد الكبيرة عامة، تمييزا لها عن غيرها [2].

مرحلة التشييد

شيد جامع الشرفاء من طرف السلطان عبد الله الغالب السعدي ما بين (970 هـ و 980 هـ) على مساحة (68 x 38,50 م) ولم يحاول في عمله هذا منافسة المساجد الكبرى التي تقام فيها صلاة الجمعة، ولكنه على الأقل أراد أن يبدع شيئا ما، فصمم العزم على إنشاء مجمع ديني يحتوي علاوة على الجامع ومستلزماته، على سقاية فخمة، وميضاة واسعة، وحمام، وكتاب، ومساكن للقائمين على شؤون هذا المسجد الجامع.

يقع الجامع بقلب المدينة القديمة بحي المواسين قرب الأسواق، غير مثير للانتباه ، يقول دوفيردان : (يعتبر المغاربة أن المواسين) اسم عائلة جليلة من الشرفاء الذين كانوا إذ ذاك يقطنون بالقرب من المصلى الجديدة، وبالفعل فإن هذه البناية كانت تسمى جامع الاشراف، ولم نعثر على شيء مهم يذكر بخصوص أسرة هؤلاء الشرفاء يقال بأن رجلا اسمه المواسي من أصحاب المهدي بن تومرت كان يسكن في هذا الحي، فعرف الحي باسمه.

(ولقد كان أهل الورع يجتنبون الصلاة في جامع الاشراف بعد بنائه بمدة، ويقال : إن موضع ذلك الجامع كان مقبرة لليهود والله أعلم [3].

ويقول دوفيردان : (وفي الاثر عند اليهود بمراكش تأكيد لنبأ مقبرة هناك، ويقال بأن بعض الاحبار من اليهود لايزالون إلى اليوم يتجنبون المرور بالقرب من

---

[2] المجلد الأول طـ سنة 1365 هـ / 1963 ص 558.
[3] الاستقصا 5 / 41 .

جامع المواسين حيث أن دينهم يحرم ارتياد الاماكن النجسة كالمقابر) [4] .

ويقول " جوزي بيريش : José Berech : حسب تقاليد محلية سجلت في بداية القرن، كان أفراد عائلته الكوهن (وهم من هم في التقليد اليهودي من نسل هارون). كانوا يجتنبون المرور بجوار مسجد المواسين، لاعتقادهم بأن المكان كان مقبرة يهودية).

وبشهادة (مارمول) يقول : فان الجالية اليهودية بمراكش زمن السعديين كانت جد مهمة من حيث العدد، وخاصة بعدما أضيفت إليها يهود المورسكيون، وقد عدد منازلهم ب 3000 دار، ووصف مارمول الحي اليهودي بقوله : (لقد كان اليهود في القديم يقطنون حومة في وسط المدينة، بمكان كانت توجد به أزيد من 3000 دار، ونقل الأمير الغالب بالله هؤلاء اليهود إلى مكان في جهة أخرى قرب باب أغمات.

وجاء في كتاب السعادة الأبدية في ترجمة سيدي عبد الله بن ياسين : (ويبعد كل البعد ما شاع بين أهل مراكش أن مسجد المواسين كان حارة لليهود، فكيف يكون مسجد هذا الفقيه ومقامه مجاور لليهود، وله جاه وعلم وصلاح) [5] .

ولحد الآن لازال برج بحي المواسين قرب الجامع يسمى برج اليهودية، في حين أن هناك رواية شفوية تقول بأن : ذلك البرج كان بيت لموقت الجامع.

وفي غياب الوثائق تبقى هذه الروايات الشفوية قابلة للنقاش وللأخذ والرد.

إن أي دارس لاي جامع من الجوامع، لابد له من الوقوف عند العناصر الرئيسية التي لايمكن أن يخلو منها أي جامع، وهي :

---

[4] دوفيردان كتاب مراكش.
[5] 65/2 .

مساحة الجامع

المحراب

المنبر

الصحن

المئذنة

لقد أقيم جامع المواسين على مساحة 65 م / 64 م x 39 م / 38 م دخل المستطيل، ويتكون الجامع من سبع بلاطات والبلاط المحوري (أي الأوسط) أوسع، ويمتد سقفه الخشبي الغني بالنقش من القبة التي أمام المحراب إلى العنزة التي تفصله عن الصحن. وتسمى زخرفته بـ (أطبع لعمارة)، وتحت هذا السقف الخشبي إزار (أي نقش على الجبص) يسمى بـ (ربع قفي).

كما يشتمل على اربعة اساكيب بالإضافة إلى اسكوب المحراب الذي يحتوي على ثلاث قباب، واحدة أمام المحراب، وواحدة في كل من طرفيه، والقبة التي أمام المحراب جميلة، وفي منتهى الابداع الفني والزخرفي، وتسمى زخرفتها ب (مقربص بالقضيب). قال لي أحد العارفين بهذا الفن، إن هذا النوع من النقش لم يبق من يصنعه نظرا لدقته وتشابكه. أما القبتين الجانبيتين فنقشتا بالمقربص كذلك.

أما سقف الجامع، فإنه لايزال يشهد ببراعة صناعه، ويمثل أجمل ما في هذا الجامع من المنجزات الرائعة، فالأثر الموحدي يتجلى واضحا في تركيبات القطع المزدوجة التي تقوم البنايات عليها، وفي الروافد المزدوجة الرابطة بين الأجزاء، كما يتجلى في الحاشية الواسعة للزخرفة الهندسية الموجودة بأعلى التركيبات والروافد، هذه الحاشية التي يقل اتساعها بقدر ما تقترب من سقوف الأجنحة المشتركة، ولكن الفنانين السعديين أضافوا إلى الزخرفة ما لايحصى من التزويقات المتنوعة من صميم إبداعاتهم دون أن تضر هذه الكثرة الوافرة بصلابة هذه السقوف المشهورة عند عموم الاسبان باسم ARTE والتي تكون إحدى مفاخر الفن الموريسكي.

ويضم الجامع أربعة أنواع من الأقواس وهي :

- قوس الدائرة.

- قوس المقربص بالقضيب.

- قوس الضليع بالرخوي.

- قوس الضليع امحرض.

وكتب على أغلب هذه الأقواس بالخط الكوفي : الملك لله - العزة لله - الحمد لله.

المحراب

إن المراحل التي تعاقبت على نشوء المحراب في المسجد تعطينا فكرة واضحة عن الغرض منه، والذي يبدو من أول وهلة أن هذا الغرض لايتجاوز مساعدة المصلين على معرفة جهة القبلة، ولذلك فإن بعض الحاريب تكون عبارة عن إشارة ملونة في جدار القبلة يختلف لونها عن سائر الجدار، يقف بإزائها الامام، وأحيانا تكون هذه الإشارة عبارة عن بلاطة مسطحة تقوم مقام اللون المختلف في الجدار المذكور، على أن قيام عمر بن عبد العزيز بتجويف محراب المسجد النبوي في المدينة حمل الذين جاءوا من بعده على الاقتداء به، ومن تم أصبح تجويف المحاريب تقليدا شائعا، وعادة متبعة في جميع المساجد تقريبا.

ومحراب جامع المواسين هو عبارة عن قوس يسمى (ظهر السلة)، ومن فوقه كتابة كوفية تحوط بالقوس، وتتضمن الاية الكريمة التالية (في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه، ويسبح له فيها بالغدو والاصال) [6] . من فوق الكتابة شماسيات مزخرفة زخرفة تسمى (إدو)، وفي داخل المحراب قبة على شكل طاسة زخرفت زخرفة تسمى ب (المقربص العادي)، وكتب على جدار المحراب الاية الكريمة :

---

[6] النور 36 .

(يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين) [7] .

وجدار المحراب بني على شكل (مربع أو قضيب)، ويحمل قوس المحراب ثمانية أعمدة رخامية، أربعة عن اليمين ومثلها عن اليسار وكلها نقشت نقشا جميلا ودقيقا، وكتب على رؤوس هذه الأعمدة الرخامية : (ما شاء الله لا قوة الا بالله).

وعلى العموم فمحراب جامع المواسين نسخة من محراب جامع القصبة، بما في ذلك نقوشه وحروفه الكوفية.

المنبر

المنبر من الناحية اللغوية : قال الزمخشري (نبر فلان نبرة نطق نطقة بصوت رفيع، ورجل نبار بالكلام، ومنه (المنبر) وانتبر الخطيب ارتفع على المنبر [8] .

وكلام الزمخشري يعني ان منبر لفظه عربية، بيد ان الكاتب سيفالييه دي رعد)، يعتبرها من الألفاظ الحبشية الداخلية على اللغة العربية، وقال : (... المنبر كلمة حبشية الاصل، وقد ذكر بعض الكتبة أن أصلها في الحبشية (ونبر) أي كرسي، فقلب العرب الواو ميما، واستعملوها على هذه الصورة، وهي ما تزال تستعمل عندهم، أي عند الاحباس للدلالة على سدة كبيرة لكرسي الملك، أو رئيس الديوان، أو نحوها ... ولما انتقلت الكلمة إلى العرب جاءتهم على وضعها الاصلي أي (منبر) وهم لم يبدلوا منها سوى فتح الميم فقالوا (منبر) [9] .

---

[7] الحج 77 .
[8] أساس البلاغة .
[9] المسجد في الإسلام 191 .

وجاء في لسان العرب : (كل شيء رفع شيئا فقد نبره، والنبر مصدر، والمنبر مرقاة الخاطب، سمي منبرا لارتفاعه وعلوه، وانتبر الامير ارتفع فوق المنبر).

يقول الدكتور المرحوم زكي المحاسني :

إن المنابر مرتقى لكرامة هزت إلى شرف الجهاد زحوفا

وهي التي رفعت مشاعل فكرها وبنت لعلياء الشعوب منيفا

ويعد منبر الجامع المواسين تحفه نادرة لما يحتويه من زخرفة بديعة وجميلة تنم عن مهارة صانعه، ودقتهم وجودتهم، فجوانبه نقشت نقشا يسمى (أربع امطارق) و (أطييع واعمرة). كما يحتوي على أربعة أقواس نقشت نقشا يسمى (سوسنة قائم ونائم) أما العارضة التي خلف ظهر الامام نقشت هي الاخرى نقشا جميلا يسمى ب (المتمى معمر القضيب قمر شون) وهو شبيه كل الشبه بمنبر جامع القصبة.

الصحن

لقد اتخذ المسلمون من صحن المسجد وسيلة هندسية لإدخال النور والهواء إلى بيت الصلاة.

وصحن جامع الشرفاء مربع المساحة (27,50 x 27,50 م) تحيط به مجنبات من رواق واحد في الجانب الشرقي، الثاني في الجانب الغربي، والثالث في الجانب الشمالي، غير أن المجنبة الشمالية تتميز بوجود ثلاث قباب، على النحو الذي رأيناه في اسكوب القبلة، حيث أقيمت قبة بوسطه على المحور العام للبناء، وقبة أخرى بكل من نهايته الشرقية والغربية، دون أن تعوق ذلك وضع الصومعة التي شيدت ملتصقة بالواجهة الرئيسية وهي الواجهة الشمالية الغربية عند نهايتها الغربية. وهو وضع يختلف عما نراه في جامع باب دكالة بالنسبة لوضع الصومعة التي تدخل إلى تخطيط المستطيل العام للجامعة.

ويوجد وسط الصحن نافورة رخامية ذات أضلاع، وبجانبها بئر مسور بحائط رخامي ذو اضلاع، وقد طمس الآن ولم يعد يستعمل كما توجد بالصحن مزولتين : واحدة في الناحية الشرقية، والأخرى في الناحية الغربية.

الصومعة

تتميز بشكلها المكعب، تجمع بين الضخامة والقصر لاتكاد تعلو السطوح المجاورة، لتعلن عن وجود المسجد، خلافا لما نراه في المساجد الكبرى، وقد شيدت هذه الصومعة في الزاوية الشمالية الغربية.

ويروج خبر شفوي مفاده أن أحد الوزراء السعديين، كان له منزل لحرمه بجوار الجامع، فتدخل لدى من يعنيهم الأمر، فقرر المهندسون أن يجعلوها على الشكل الذي عليه اليوم، خلافا لما نراه في صوامع المساجد الكبرى.

الأبواب

وللجامع ثلاثة أبواب لدخول المصلين، اثنان من هذه الأبواب الثلاث يقابل أحدهما الآخر، ويؤديان إلى الجناح الأخير للجامع، وكل مدخل يكون في خارجه ثغرة مبنية يعلوها تقبيب مخرم تخريما نازلا إلى الأسفلو وزينت مصارع هذه الأبواب بمزالج مزخرفة بنقوش تحمل اسم السلطان المؤسس لهذا الجامع، وقد جاء في الأثر أن أحد هذه الابواب نقل من غرناطة.

إلى جانب هذه الأبواب الثلاثة يوجد مدخل الامام، ومدخل خاص بالمنبر.

الدروس العلمية

لست أبالغ حين أقول بأن المسجد كان يقوم في الماضي بنفس الدور الذي تقوم به اليوم المؤسسات الجامعية في حقول الثقافة والعلم والفكر، ذلك أن كبار العلماء الذين يعتز بهم الفكر الانساني، ويتباهى المسلمون في الكلام عن آثارهم، قد بدأوا حياتهم العلمية في أروقة المساجد، وعند سواريها، ولما أصابوا حظا كافيا من المعرفة

تابعوا ارتياد المساجد التي تعلموا فيها ليؤلفوا حلقة جديدة، وليبثوا ما في صدورهم من رصيد الثقافة في العديد من الطلاب الذين كانوا بدورهم يقبلون على هؤلاء العلماء في مجالسهم وحلقاتهم.

وجامع الشرفاء بالمواسين هو الآخر عرفت أروقته مجالس للعلماء والفقهاء والوعاظ، وترافق فيه الطابع الديني، فكان في آن واحد معبدا تقام فيه الفرائض والشعائر الدينية، ومركزا علميا تهوي إليه أفئدة أهل العلم سواء للتعليم أو التعلم. وكان شعاع هؤلاء العلماء متجليا وواضحا في الأوساط المراكشية سواء منها المثقفة أو الشعبية. وسأذكر نماذج من العلماء الذين كان لهم درو بارز في نشر الثقافة والمعرفة.

1 - محمد بن ابي القاسم الحسيني ت 988 هـ / 1580م : من شرفاء سجلماسة درس بالقرويين، ثم استوطن مراكش أيام السلطان عبد الله الغالب فأسند إليه التدريس والخطابة بجامع الاشراف لما تم بناؤه، أخذ عنه الطلبة العلوم اللسانية والدينية، وامتازت بالخصوص دروسه النحوية حتى أنه ألف شرحا مفيدا لالفية ابن مالك [10] .

2 - عبد الواحد بن أحمد الحسيني ت 1003 هـ / 1594 م : اتصل بالسعديين وعمل في بلاطهم منذ المراحل الأولى لتأسيس دولتهم وتولى أيام المنصور خطة الفتوى بحضرة الإمامة، والتدريس بجامع الاشراف، وقد كثر الآخذون عنه من الطلبة والعلماء حتى عند شيخ الجماعة في عصره [11] .

3 - محمد بن يوسف الترغيتي ت 1009 هـ / 1600 م : أصله من جبال الريف استوطن مراكش، مستقرا في دار بدرب عبيد الله قرب جامع الاشراف كان يجود القرآن للطلبة في دهليز (سطوان) داره، ويعقد مجالس التفسير والحديث والفقه

---

[10] حجي 2 / 376 .
[11] حجي 2 / 379 - الاستقصا 5 / 111 - درة الحجال 3 / 140 .

والنحو في جامع الاشراف، وقد أدرك شأنا بعيدا في علوم القرآن فشدت إليه الرحال لأخذ القراءة عنه، وتزاحمت ببابه الركبان [12].

4 - أحمد بابا السوداني : ت 1036 هـ/ 1626 م : يقول أحمد بابا : (لما خرجنا من المحنة طلبوني للإقراء، فجلست بعد الإباءة بجامع الشرفاء بمراكش، من أنوه جوا معها، اقرىء مختصر خليل قراءة بحث وتحقيق ونقل وتوجيه، وكذا تسهيل ابن مالك والفية العراقي، وتحفة الحكام لابن عاصم، والسبكي والحكم والجامع الصغير قراءة تفهم مرارا، والصحيحين مرارا، ومختصرهما والشفا والموطا، والمعجزات الكبرى للسيوطي، والشمائل والكلاعي وغيرهما، وازدحم علي الخلق وأعيان طلبتها، ولازموني بالاقراء على قضاتها [13].

5 - الحسن بن مسعود اليوسي 1102 هـ/ 1690 م : لما دخل مراكش تصدر فيها لاقراء علم التفسير بجامع الشرفاء، فمكث في تفسير الفاتحة قريبا من ثلاثة أشهر، وهو يبدي في كل يوم من التحقيق أسلوبا، ويلقي من التحريرات صنوفا، فعجب الناس لحسن إلقائه، وغزارة مادته [14].

6 - عبد الله بن إدريس المنجرة 1175 هـ/ 1761 م : شيخ جماعة القراء في وقته، كان يدرس العلم بجامع الشرفاء، له مجالس في كل وقت ويكثر الاقبال على دروسه، وبقي على هذا الحال إلى أن توفي [15].

7 - محمد بن سعيد بن محمد المرغيتي السوسي المراكشي 1309 هـ/ 1891 م : الشيخ العلامة الدراكة الامام الراسخ الصوفي الشهير. درس صحيح البخاري والشفا، وشرح الكبرى للشيخ بجامع الشرفاء [16].

---

12 حجي 2/ 380 - درة الحجال 2/ 164 - صفوة من انتشر 130.
13 الاعلام 2/ 305.
14 الاعلام 3/ 157 .
15 الاعلام 8/ 315.
16 الاعلام 5/ 312 الدر النفيس 49 .

8 - سعيد بن محمد بن احمد جيمي ت 1313 هـ/ 1895 م : درس بجامع الشرفاء، وبجامع الزاوية العباسية وغيرهما [17] .

9 - محمد الكبير التادلي المراكشي الداروالقرارت ت 1317 هـ/ 1899 م : من أولاد زيدوح، كان له خط بارع وانكباب على المطالعة، أقرأ العروض بجامع المواسين، كان استادا لقراءة السبع، ويتعاطى النحو والعروض ونظم الشعر [18] .

10 - أحمد بن محمد أبو ضربة المراكشي ت 1320 هـ/ 1902 م : تولى الوعظ بجامع الاشراف بعد الصبح، كان حسن الصوت جهوريه [19] .

11 - محمد بن إبراهيم السباعي 1332 هـ/ 1913 م : شيخ الجماعة بمراكش، له تآليف عديدة وتقاليد مفيدة، تولى التدريس ليلا بجامع المواسين [20] .

12 - التهامي بن عبد القادر بن الحداد المراكشي ت 1336 هـ/ 1917 م : أستأدبه السلطان المولى الحسن لتأديب أولاده وإخوته، فأخذ عنه المولى عبد الحفيظ، والمولى المهدي. كان فقيها مجدا عالما بقراءة السبع، درس بجامع المواسين، وبمسجد درب تزكارين من حي باب دكالة [21] .

ومن المتأخرين الذين درسوا بهذا الجامع أذكر منهم :

الشيخ أبو شعيب الدكالي

سيدي المدني بلحسني

---

17 الاعلام 10 / 150 .
18 الاعلام 7 / 129 .
19 الاعلام 2 / 455 .
20 الاعلام 7 / 201 .
21 الاعلام 3 / 98 .

القاضي السيد عباس بن ابراهيم التعارجي

العلامة الشريف محمد بن عبد القادر العلوي (مسو)

العلامة محمد بلحسن الدباغ

الفقيه سيدي أحمد أكرام

الفقيه سيدي أحمد الكنسوسي أمد الله في عمره.

الكراسي العلمية

عرف المغرب الكراسي العلمية مع المرينيين، ازداد عددها، وتضاعفت أهميتها مع السعديين، ولم يعد تأسيسها وتخصيص الأوقاف لها قاصرا على رجال الدولة، بل يشارك في ذلك خاصة الناس وعامتهم [22] .

وفي العهد أحدث بجامع الشرفاء كرسي البخاري، وكرسي مختصر خليل ولعلمها من إنشاء ووقف السلطان عبد الله الغالب السعدي [23] .

النساخة

انشىء - لأول مرة - شبه مدرسة لتلقين الكتابة على حدة، ويتعلق الأمر بإنشاء درس لتعليم الخط في جامع المواسين بقوانين مضبوطة على نحو ما كان معروفا في القاهرة وغيرها من حواضر الشرق واستندت رأسة هذه المشيخة إلى نقيب الخطاطين عبد العزيز بن عبد الله الكتاني المولود عام 956 / 1549 م - 1550 م.

---

[22] حجي 1 / 119.
[23] حجي 1 / 119 .

قال ابن القاضي في ترجمته : وهو المقدم لتعليم الخط بجامع الشرفاء من مراكش المحروسة، كما هي العادة بالقاهرة وغيرها من بلاد المشرق [24] . وهكذا تتبين حقيقة درس الخط الذي أنشىء بجامع الشرفاء من مراكش وهو في الغالب - من عمل المنصور الذهبي - وقد أحدثه كتجربة أولى قابلة لانتشارها في جهات أخرى من المغرب في حياته وبعدها [25] .

ولقد كان لعبد العزيز الكتاني السالف الذكر إلى جانب مهارته في الخط، كان يتقن الخطوط المغربية والأندلسية والمشرقية والتي كان يلقيها للطلبة في جامع المواسين. كما ألف عدة كتب اطلع عليها المؤرخ أحمد بن القاضي.

خطباء الجامع

تعتبر الامامة والخطابة من الوظائف الدينية التي حضيت بعناية الحكام، وتقدير واحترام المجتمع لهم، فأوقاف جامع الاشراف كانت ذات أهمية قصوى إذ وفرت للقائمين عليه أرزاقا وافرة إلى جانب أنهم كانوا يتمتعون بالسكنى المجانية في دور حبسية.

ومن خطباء جامع الاشراف :

1 - محمد بن محمد أبي قاسم الشريف الحسني السجلماسي ت 988 هـ / 1580م: وهو من شرفاء سجلماسة، استوطن مراكش أيام عبد الله الغالب، فاسندت إليه الخطابة والتدريس بجامع الاشراف عندما تم بناؤه. وهو أول من خطب بهذا الجامع كما جاء في الصفوة [26] .

---

[24] درة الحجال .
[25] البحث العلمي عـ 18 ص 17 .
[26] ص 42 .

2 - عبد الواحد بن أحمد الحسني السجلماسي ت 1003 هـ/ 1594 م : عالم متفنن مشارك في عدة علوم، كان آخر المحدثين بمراكش، ولي خطبة جامع الاشراف [27].

3 - علي بن حسن الحسني ت 1003 هـ/ 1594 م : له حاشية على المرادي على الفيه ابن مالك، تولى خطابة هذا الجامع [28].

4 - عبد الله بن ادريس المنجرة ت 1175 هـ/ 1761 م : نفذ له سيدي محمد بن عبد الله الامامة بجامع الاشراف [29].

5 - سعيد بن محمد بن احمد جيمي 1313 هـ/ 1895 م : قبل أن يتولى الخطابة بجامع الاشراف كان يخطب بجامع سيدي اسحاق بعد وفاة خطيبه الفقيه المدرس السيد عبد الله الدراوي العثماني، وبعدما تولى خطابة جامع الاشراف لما عزل عنه السيد أحمد بوضربة لقراءته الكتاب الذي كتبه مولاي أحمد الكبير بأمر رؤساء مراكش في الثورة على ابن داوود، ثم رجع بوضربة إلى محله بعد ذلك [30].

6 - أحمد بن محمد بوضربة المراكشي : ت 1320 هـ/ 1902 م : تولى الخطاب بجامع الاشراف، وكان والده وأخوه الكبير السيد محمد خطيبين به قبله، وبعد وفاته تولى ابنه الفقيه محمد مكانه [31].

ومن المتأخرين أذكر :

- الشريف مولاي عبد السلام الفيلالي الضرير

---

27 جدوة الاقتباس ص 453 الاعلام 8 / 523.
28 نشر المثاني 1 / 32.
29 الاعلام 8 / 315.
30 الاعلام 10 / 151 .
31 الاعلام 2 / 455.

- الفقيه الطبايلي

- القاضي الحاج ادريس الورزازي

- الفقيه عبد السلام جبران

مكتبة جامع الشرفاء

عرف المسجد في جميع العهود الاسلامية بأنه كان مجمعا للعلماء ورجال الادب والثقافة والفقه والتشريع مع ما يستلزم ذلك كله من تخصيص بعض أقسامه وأروقته ليكون مكتبة تضم في رفوفها المراجع والمصادر والمصنفات التي تساعد أولئك العلماء على الدراسة والبحث والتحقيق، وتكون عونا وسندا للطلبة والمتعطشين للعلم .

ومن هنا دأب أمراء المغرب وسلاطينه على بناء مكتبات بجانب المساجد التي أسسوها، اسوة بمن سبقوهم من الامم السابقة، ولم يخرج السعديون عن هذه السنة الحميدة، وبناء مكتبات بجانب كل مسجد شيدوه، وهذا ما فعله عبد الله الغالب حيث أسس حوالي 965 هـ/ 1558 م مكتبة بجوار جامع المواسين، واوقف عليها من نفائس الكتب الشيء الكثير، وظل الأمراء والمحسنون يوقفون عليها من أمهات الكتب ما جعلها في الجنوب قرينة مكتبة القرويين في الشمال . وهذه المكتبة عبارة عن قاعة مربعة الأركان، واسعة الأرجاء، واقعة وراء جدار القبلة من جانبه الشرقي .

وقد استفاد أحمد بابا السوداني من هذه المكتبة استفادة كبرى في تأليف كتبه الشهيرة في التراجم، يقول أحمد بابا في ترجمة إبراهيم بن قايد بن موسى : (رأيت في خزانة جامع الشرفاء بمراكش السفر الأول من شرح أخر له على خليل قدر الثلث إلى الجهاد سماه : (تحفة المشتاق في شرح مختصر خليل بن اسحق) مجلد ضخم) [32] .

---

[32] نيل الابتهاج 53 .

وكان القيم على المكتبة يختار من بين العلماء المشهورين بالجد والنزاهة، وما دمنا لم نقف على وثائق ومعلومات عن نوعية الكتب، وعن المستفيدين منها وعن القيمين عليها، في غياب هذه المعلومات ارتأيت أن أدعم هذا الفصل بوثيقة من إنشاء العلامة سيدي عبد الله اكنوس [33] يقول :

الحمد لله وحده

الحمد لله الذي أوقف جميع الخيرات على من وقف صادقا ببابه وحبس رضاه الأكبر في كل الأوقات على من تعلق واصلا باسبابه، والصلاة والسلام على بذرة المبدأ، ولبنة التمام، وبعد :

فلما كانت همة مولانا أمير المؤمنين [34] أدام الله وجوده، و ظفر جنوده تواقة لابتناء المعالي على مرور الأيام والليالي، تواقة لتشييد المفاخر في الأول والآخر، انتخب نصره الله خزانة كتب جامعة مانعة مجدية نافعة حاوية من كل فن أنفعه، ومن كل علم أرفعه، مشحونة بالنفائس المستغربة، منتقاة من كل الذخائر المنتخبة، كفيلة بكل ما يتوقف عليه طلاب العلم، كافية شافية لكل ذي فهم، وجلب ايده الله جلها من الآفاق المشرقية، وحشد شيئا كثيرا منها من الديار المصرية، انافت على الالف، واحتوت على كل نوع وصنف، وصير عليها أموالا طائلة لا تسمح بها النفوس إلا نفس كنفسه الشريفة الابية، وهمة كهمته النزهية العالية، حتى صارت من أفخر المفاخر تنشد : كم ترك الاول والاخر :

هكـــذا هكـــذا وإلافـــلا طـرق الجـد غيـر طـــرق المـزاح

فخرج نصره الله عنها الله، ووهبها في سبيل الله، وحبسها لوجه الله، ابتغاء مرضاته، وتخليدا لذخرها في ديوان كبرى حسناته، ورجاء الاجور الأخروية، واغتناما

---

[33] امدني بهذه الوثيقة الاخ الاستاذ محمد المهدي الكنوسي فله مني وافر الشكر.
[34] يعني المولى الحسن الأول .

للسعادة الأبدية، واستمطارا لما ورد في فضل من حبس الاحباس وأوقف الأوقاف من الناس، وأمر ايده الله بكتب هذا التحبيس على ظهر المجلد الأول من تاليف كذا في كذا، تحبيسا مؤبدا، وتأسيسا صرمدا، على القانون الذي قنه، والضابط الذي اخترعه وأتقنه فهنيئا لسيدنا أيده الله بالثواب الجسيم، وطوبى لمولانا نصره الله بالفوز بالنعيم المقيم، نفع الله سيدنا بخالص نيته، وأطال نصره، وأطاب عصره، وبارك الاسلام والمسلمين في ميمون غرته وأسعده وأسعد به، وخلد الملك والخلافة فيه وفي شريف طاهر ذريته وجعلها كلمة باقية في عنقه ما تعاقب الملوان، وتوال الاوان، أمين واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

فصل : في المحل :

هو خزانة المواسين بعد إصلاحها، صدر به الامر العالي بالله في كذا وكذا، وتجديد جدرانها، وتجليد سائرها بالخشب، نعم يجب التنبه لنكتة وهي يجب إبعاد محل الكتب عن أرضها بمقدار شبر ونحوه، وإبعاد الحائل الخشبي عن الحائط بما يقرب من ذلك كذلك وإنما اخترنا المواسين لوجوه متعددة كل واحد يوجب أوليته : منها اختصاصها واختيارها، ومنها مأوى الكتب من قديم، وفي الدولة السعدية كان لها صيت عال، وسوم غال ألخ.

ومنها صونها ولاكتنافها بالدور والعمارى من جميع الجهات، وليس هذا لغيرها من الخزائن، بل جلها موالية للفضاء، ومجاورة للخلاء إن لم يكن في الكل ففي الجل.

ومنها امر اسلاف سيدنا نصره الله، وقد سهم الله بنقل بقايا الكتب من خزانة ابن يوسف إليها ونقل خزانة الحرة والدة المنصور من جامع باب دكالة إليها أيضا، ومن خزانة مسجد المنصور وغيرها إليها كذلك ومنها قربها لمحل جلوس النظار بحيث لو شاء الناظر التردد إليها في اليوم مرات لامكنه ذلك لشدة القرب وتمام الاتصال.

فصل : القيم :

يجب أن ينتخب من خيار الناس الاذكياء التقاة الذين لا تتمشى عليهم الحيل، ولاتؤثر فيهم الأطماع، وان يكون من دور المهابات حتى يحتمي حماه ويخشى جانباه، نعم يكون أمره قاصرا على الجناب العالي بالله ومعاملته خاصة بدار المخزن بحيث لاتجد الولادة إلى مد أيديهم في الكتب سبيلا لأنفسهم ولا لغيرهم بوساطتهم حتى أن سيم ذلك شيء يعلم دار المخزن فيجاب بما يات وما يدر.

وأن تكون له أجرة كافية، ويحبس على القيم ملك اوريع يقوم مستغله بأجرته وأجرة أعوانه، ويكون تعاهده للكتب مرة في الشهر يظل بها يوما كاملا فيستخرجها كلها من الخزانة إلى صحن المسجد أو نحوه من براح تنالها فيه الأهواء والأرواح، ويلقى عليها شعاع الشمس من الشروق إلى قرب الزوال في زمن الاعتدال، وبحسب المقتضى في غيره من الفصول.

ثم تنفض الكتب سفرا سفرا، وتورق ورقة ورقة بحيث يزول الالصاق الذي بين الأوراق، وتستروح الأوراق بالنسيم، وتعد الكتب في الاخراج والادخال، ويكون له أعوان تقاة مامونين بأجورهم الوسعة، ويكون فتحة للخزانة في كل شهر للنفض.

وتفتح أيضا الخزانة كل جمعة بعد الصلاة إلى الغروب ليدفع الطلبة ما كان عندهم من الكتب المحوزة منهم يوم الأربعاء، ويجلس يوم الأربعاء أيضا لحوز ما عند الطلبة النهار كله أيضا، يعني طرفي النهار من الصباح إلى الزوال، ومن العصر إلى الغروب.

ويجب أن يكون القيم من أهل العلم والمعرفة، وله خبرة بأسماء التاليف والمؤلفين حتى لا تتمشى عليه الحيل في تبديل الكتب بغيرها أو تبديل الاحصن بالارذل.

فصل : في كيفية إعارة الكتب :

وذلك أن طالب العلم الطالب للكتاب لا يخلو من أحد ثلاثة أشخاص :

إما فقيها مدرسا، أو طالبا وهم على قسمين :

فأما الفقهاء بقسمين فلا يعطون شيئا من هذه الكتب البتة، لأنها عندهم مكررة وحتى من لم تكن عنده، فعنده ثمنها وهو قادر على تحصيلها من وجوه لغناه وجاهه، فلم يبق وجه لإعطائه منها شيئا أصلا.

وأما طالب من أولاد المدينة وهم قسمان أيضا :

الأول من ذوي أهل البيوتات وذوي المروءات.

والثاني من مطلق أهل المدينة.

وثالث الأشخاص أن يكون الطالب آفاقيا من عمار المدارس، وهم على قسمين أيضا :

مجتهد في القراءة وضده.

واما أبناء المدينة، فالقسم الأول منهم، وهم ذوي البيوتات والثروة، فهم قسمان : مجتهد ومتكامل.

فالأول يعطي بعد الاشهاد واعلام من يقرأ عليه ليعلم القيم اذا تخلف فيحاز منه الكتاب ولايرد له، ويكون ذلك سببا لعدم تمكنه بعد من شيء.

وأما المتكامل منهم فيعطي بعد الاشهاد وما تقدم، ويزاد أنه يرده كل يوم أربعاء، وحوزه كل جمعة، وان غربت شمس الأربعاء ولم يات به يبحث عنه ويجاز منه ولايرد له قطعا.

وأما الافاقيون، فالمجتهد منهم يعطاه كمجتهد أهل المدينة مثلا بمثل. وأما المتكاسل من الأفاقيين فحكمه حكم متكاسل أبناء المدينة، غير أنه ان ظهر عليه الاجتهاد بعد يعطي بخلاف متكاسل اولاد المدينة فإن الغالب عليهم أنهم يتركون القراءة رأسا، ويشتغلون بأسباب المعاش ونحوه، فمن تخلف عن المجالس وتكرر منه ذلك تحاز عنه الكتب ولا ترد له ولو طلب.

المدرسة

توجد بالقرب من جامع المواسين مدرسة لا يطبعها أي طابع فني، ولا يعلم عنها أي شيء مطلقا . كانت تحتوي على 26 غرفة حسب : (لوسيوني JOSEPH LUCCIONI) [35] . أما الآن فهي تحتوي على 92 غرفة بعد إصلاحها من طرف بعض المحسنين.

وقد ورد في كتاب الدرة الجليلة [36] بأن أحمد بن سليمان الرسموكي السوسي الأصل، المراكشي الدار والمدفن نزل بهذه المدرسة.

السقاية .

من التقاليد المستحسنة التي سار عليها أهل المغرب والمشرق جلب الماء لشرب الناس، وورد البهائم، ففي الأثر أن النبي ص : أوصى بالسقاية واعتبرها من أفضل الصدقات وأجلها.

وتعتبر سقاية جامع المواسين من أهم سقايات مراكش الأثرية، سواء من حيث الحجم، أو الزخرفة، وهي النموذج المقتدى به بالنسبة للسقايات المتأخرة.

---

35 Les Fondations Pienses (HABOUS)

36 رسالة جامعية تحقيق أحمد عمالك.

ويخبرنا الأفراني : أن هذه السقاية شيدت مع بناء الجامع نفسه، وهي مبنية بنيانا هندسيا رصينا متقنا .

تتألف من أربعة صهاريج : ثلاثة خاصة بالبهائم، و الرابعة خاصة بسكان الحي، وقد أقيم على هذه الأخيرة حاجز من جذع شجرة كبيرة لمنع البهائم من الوصول إليها، وتلويث ماء الشروب ولهذا الغرض أخر المهندسون الصهريج إلى الوراء جانبا، فهو لا يوجد على مستوى الصهاريج الثلاثة المخصصة للبهائم .

وتمتاز السقاية الخاصة بأهل الحي بفنها ورونقها وعظمتها، فالمشاهد لها يرى عمودين يحملان منضدتين مزخرفتين ومخرومتين بالجبص، واجهاتهما العموديان تقابل احداهما الأخرى وتعلوهما قطعة بارزة من خشب الارز الذي تفنن في صنعه الصناع وتستند عليهما قطعة مزدوجة من نفس الخشب .

وتوجد هذه العبارة منقوشة في الأسفل :

(أحسن ما يقال الحمد لله على كل حال) كما كتب في مكان آخر :

أحسن ما صرف فيه المقال الحمد لله على كل حال

بخط أندلسي، تتخلله أشكال زخرفية من نوع (التزويق)، الكل يرجع إلى عهد السلطان عبد الله الغالب السعدي .

وكتب بلون أسود على افريز داخل السقايات البيت التالي :

بشرى فقد أنجز الاقبال ما وعدا وكوكب المجد في العلا صعدا

ويرجع عهد هذه الكتابة الأخيرة إلى زمن السلطان العلوي سيدي محمد بن عبد الرحمان العلوي قبل سنة 1284 هـ/ 1867 م .

الحمام

إن سكان الحضر يومنون إيمانا صادقا بأن الحمام من حسنات المدينة، ومن ضروريات اي تجمع سكني، لان نظافة المسلم جزء من إيمانه، والصلاة من أقوى الأركان التي يقوم عليها هذا الدين ولا تجوز إلا بالوضوء والطهارة.

والقاعات الساخنة في حمام المواسين مقببة، ومغطاة بقبة من الأجور، ذات قاعة متمنة الزوايا على مجرى مربع، ويلج النور إلى الحمام بواسطة ضوايات زجاجية.

الميضاة

تقوم قرابة الجامع ميضاة جميلة مكونة من محل للوضوء ومحل للاستقراغ، وهي في شكل قاعة ضخمة يحمل وسطها صوانا قائما عليها يجعل النور والهواء يدخلان منه إلى القاعة لتهويتها وإضاءتها

هذه نظرة إجمالية عن جامع المواسين ومرافقه، ومما يحز في الصدر ويدمي القلب أن جل هذه الآثار لم تجد العناية، ولا العين الساهرة عن صيانتها والمحافظة على طابعها الفني والزخرفي، فكم من قطعة فنية سقطت ولم يعد إصلاحها وترميمها حتى تبقى الصورة كاملة وغير مشوهة وانني لأهمس في أذن وزارة الأوقاف لتلتفت إلى مثل هذه الجوامع التاريخية وتصونها من الضياع والتلف كما وقع لكثير من الآثار كمنبر الكتبية وسقاية شرب أشوف ... ألخ.

المراجع

1 - الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام.

2 - السعادة الأبدية.

3 - المسجد في الإسلام.

4 - الحركة الفكرية - حجي - .

5 - نيل الإبتهاج.

6 - صفوة من انتشر.

7 - الاستقصا.

8 - الدرة الجليلة.

9 - درة الحجال.

10 - الدر النفيس.

11 - جذوة الاقتباس.

12 - نشر المثاني.

13 - أساس البلاغة.

14 مراكش - دوفردان - .

15 - مجلة البحث العلمي عـ 18 ص 17 .

16 - مجلة كلية الآداب - الرباط - عـ 9 ص 130.

17 - Les Fondations Pienses.